الخطاب والتأويل من منظور أسلوبي
" توجيهات وتخريجات"

نعار محمد[1]

naar1976mohamed@gmail.com

ملخص :

ينضوي الدرس الأسلوبي ــ إجمالاــ على خانة، يشار إليها على أنها وصفية في إحدى المخرجات التي تعّرف بها ، بمعنى أنه يعتبر نفسه حضانة لأسئلة كبيرة، حول موضوع اللغة ومخرجاتها الوصفية والتأويلية تحديدا من خلال الانزياح الدلالي ، قربا من الفهوم والتعريف بها من جهات ومسالك متعددة ، تخدم في الأخير رسالة هذا الفن وأهميته ولعل الوجه البارز في هذا الدرس اقتناص الفرصة واللحظة المناسبة ، في غمرة التبرير والتأصيل، التي شهدها هذا الدرس ــ ولازال كذلك ــ كان ولا بد أن تكون من أولوياته مسألة الخطاب والتأويل ومن البواعث التي تتصدر انشغالاته فكانت هذه الأخيرة أهم المحطات التي أولاها مكانة وأهمية .

لقد تبنى الدرس الأسلوبي المسألة الوصفية الخطابية دون مقدمات، لأنها من مشمولاته ، التي دافع عنها في مسيراته التأصيلية مبررا في:"المقاربة الوصفية " شعاره وبالتالي فلا غرابة أن تكون المسألة النحوية

1 أستاذ محاضربقسم اللغة العربية وآدابها جامعة ابن خلدون الجزائر

حصيلة تعهداته، التي قطعها و تبناها وإن صح تفصيل ذلك فهي مقرونة بدوافع مباشرة ، كانت من وراء نشأة الأسلوبية حديثا وتأسيسا" لبلاغة جديدة " تقترن صلاتها بالدرس النحوي والدلالي على اعتبار أن النظم ومعانيه عند عبد القاهر الجرجاني ــ خصوصا ــ قد تبنى درس" الاتساع " مسلكا ، كما كان عليه شهرة وتداولا على الساحة النحوية وبذلك فالأسلوبية اليوم تنظر للنحو، ضمن التطلعات التي بادر بها الشيخ وغيره من اجتهادات في المجال .

نستطيع القول أن مسألة التأصيل والبحث عن المنشأ لا تزال ينظر إليها بالاهتمام وبدرجة قصوى اليوم كما كان وإن بدرجات متفاوتة للأفكار التي نتداولها بفهومنا التي جرت عليها العادات والمبادئ وجملة الأنساق الثقافية التي شكلها التفكير والإدراك فيما هو محلي إلى ما هو عالمي نقول هذا مع نزوع الكثير إلى تجاوز هذا الاعتقاد من خلال دعوى الاجتماع الإنساني والحوار الحضاري وواقع الحداثة ومعالم العولمة في واقعنا اليوم بحيث بات للمفاهيم تحولات تتهافت من شتى بقاع العالم وتقع حيرة الاختيارــ لبعضها ــ وهو الذي سماه ابن خلدون في مقدمته الشهيرة بالسوق الكبرى وبين سلوك منزع محدود منها على أساس مصالح وتوازنات مرة أخرى نقول ذلك من خلال صلة ذلك بموضوع بحثنا على الأقل من هذه الزاوية التي نبرر من خلالها انتقال لم يدرس كفايةــ باعتقادنا المتواضع ــ لأسباب موضوعية مبررا في انتقال المفاهيم من ساحة لها أصولها إلى ساحة لها أصولها الخاصة

نعني بذلك من خلال ورقة البحث هذا الداعي أو دعوى الانتقال من البلاغي إلى الأسلوبي .

لقد كان الباعث من نشأة البلاغة العربية هو كلام العرب عموما وتعزز هذا الدرس ليحيط بمفاصله الدرس الإعجازي القرآني ويكون بالتالي سيد القراءة بمفهومها النقدي الذي وعه ابو تمام وان كان بمفهوم مخالف نتحدث عنه بموضعه لكن نستطيع القول بإجمال أيضا في هذا الموضع أن البلاغة العربية في نسقا الكري هذا عرفت تحولا جذريا بين بلاغة اللسان العربي وبين بلاغة الدرس الاعجازي وهو المدار الذي تحدث عنه منذر العياشي وغيره عندما فرق هذا الأخير بين البلاغة العربي التي يرى أنها بلاغة نص والبلاغة اليونانية التي هي بلاغة الجدل ومن هنا وقع الاشتغال على التسييس الفعلي لدور البلاغة فيما بعد وعن ماهية البلاغي نستطيع أن نمثل لذلك لبلاغيين صبوا جل اهتمامهم بين النزعتين من خلال علم الكلام ضمن ما جمع آهل اللغة من لغويين ونحاة بالشعراء والخطباء في المناظرات التي دارت بينهم والردود المنقسمة بين النزعتين والتي انتهت في بعض الأحيان بالتشكيك والتجريح في حين كانت الكثير من المسائل بسيطة في موضوعاتها والسبب اختلاف الآلة التي احتكم إليها كل فريق .

يمكننا القول إذا حاولنا مناقشة طبيعة التفكير التي لجأ إليها الطرفان أنها وصفية بامتياز لأن الفريق الأول مبرراته تقوم على علوم الآلة التي تقوم عليها لغة الخطاب حين وصلت الجهود في فترة ما إلى الانتهاء من تقعيدها وهي حجة مبررة في حين يلجأ الفريق الثاني إلى وصفية تنظر من زاوية

تخرج عن إطار التقعيد ليس كلية ولكن ترى أن من وراء هذا التقعيد فسحة للاتساع أي أنها ترد على الفريق الأول أنهم ضيقوا واسعا بلغة أهل الأصول هكذا جرى الأمر بحيث نستطيع القول أن العرب والمسلمين مارسوا كل تفكيرهم وعلوم الآلة هذه في لغتهم ومن داخلها وفي ذاتها ومن اجل ذاتها كما يرى الدرس اللساني الحديث في اللغة فكان جل نقاشهم في التخريجات والتوجيهات وهو علم شاهد على علو هذه اللغة إلى الآن .

من هو البلاغي سؤال يُطرح حقيقة لقد كان بالمفهوم العربي الإسلامي موسوعة نعم إنه عالم بمعنى الكلمة فقد كانت تحقق عنده علوم اللغة والبيان والمنطق وحتى علوم أخرى كالفلك والرياضيات والموسيقى والطب وغيرها وقد وصف البعض ا ناخر موسوعة كان ابن خلدون بذلك تحقق للبلاغي وجهة نظر ومخارج إما وصفية / معيارية قائمة على القواعد والمبادئ او معيارية / وصفية التي تشبث بها الكثيرون وكل لم يخرج عن الأصول والمبادئ التي قامت من خلالها لغتهم .

إذا كان الأمر كذلك لماذا انتهينا إلى مسمى انتقال أو بالأحرى بديل عن البلاغة بمسمى علم الأسلوب ما الداعي لذلك وكيف وصل البعض إلى تسمية هذا البديل أنه الوريث الشرعي للبلاغة ؟

ينبغي أولا الإشارة إلى أن أصحاب هذه الدعوى يتمسكون أنهم أولى بدعوى الوصف وان صلتهم بالبلاغة تصحيح لمسارها هذه الدعوى التي تقوم على انتسابها للدرس اللساني الحديث الذي رفع شعار الوصفية من خلال المؤسسين فكيف يرى هذا الفريق إلى الوصف الذي يتبناه البلاغي أيضا وما

هي المآخذ التي وجهها هؤلاء إلى البلاغة ؟ وما هي الوصفية بمفهوم الأسلوبيين ؟

قبل الحديث عن الفرقين نشير هنا إلى أن كليهما يقوم على وجود مادة التي يمكننا تسميتها تأليفا يمكن أن يدعي لنفسه نظما بلاغيا أو أسلوبا أو تعبيرا ولذلك ويمكننا أن نشير عليه أن طابعه أدبي والأدب كما يعرفه البعض هو " الفن الذي يجد فيه الإنسان التعبير عن حسن التفكير أو قوة الإحساس والعاطفة والخيال

وقد عرفه النويهي " بأنه ذلك الإنتاج اللغوي الذي يهم الإنسان من حيث كونه إنسانا وقال فيه "أحمد الشايب" الكلام الذي يصور العقل والشعور تصويرا صادقا ولا يسمى الأثر الأدبي أدبا إلا إذا كان قادرا على إثارة العواطف الإنسانية.

نستطيع القول أن كلمة أدب قد اختلفت معانيها من لغة إلى أخرى ومن أدب إلى آخر انه نظم أو ضرب فيه أو أسلوب استطاع من خلاله صاحبه أن يثير الانفعالات والأذواق في النفس.

وإننا نكاد الجزم أن أهل الاشتغال في ذلك يتساوى المقصد لديهم في إدعاء لزوم هذه المادة بطرق النظم وكيفية التأليف ولهذا يرى الكثيرون أن مادة الأسلوب تحيط ــ أو لها أن تدعي كذلك ــ تلبية حاجة البحث والغوص في مشاغل الأدب خصوصا وهو يجد تزكيته و معينه من الدرس اللساني الحديث و تفرعاته ومن هنا ينبغي أن نحيط علما بما هو الأسلوب وعلم الأسلوب.

1ــالاسلوب:المفهوم و المصطلح

من الناحية اللغوية يقال الأسلوب السطر من النخيل و كل طريق ممتد فهو الأسلوب فالأسلوب هو الطريق والوجه والمذهب ويقال انتم في أسلوب سوء و جمعه أساليب و الأسلوب الفني و يقال اخذ فلان في أساليب القول أي في أفانين منه في مادة (س.ل.ب) يقال: " للسطر من النخيل أسلوب و كل طريق ممتد فهو أسلوب، قال: و الأسلوب الطريق و الوجه و المذهب، يقال:أخذ فلان أساليب من القول أي : أفانين منه، و إن أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبرا[2])

لاحظ أن ابن منظور في معجمه لسان العرب تجاوز المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي.

ورد ذكر الأسلوب في كثير من الدراسات في التراث العربي وهو يعني عندهم الكيفية التي يشكل بها المتكلم كلامه سواء كان شعرا أم نثرا إذ يقول الخطابي في تحديد نوع من الموازنة و المعارضة و المقابلة وهو انه يجري أحداث مرونة في أسلوب من أساليب الكلام وواد من أوديته فيكون احدهما ابلغ في وصف ما كان في باله من الأخر و جاء في معجم مصطلحات الأدب لمجدي وهبة أن الأسلوب هو طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابة وهذا هو المعنى المشتق من أصل اللاتيني للكلمة الأجنبية stylo الذي يعني القلم و في كتب البلاغة اليونانية القديمة كان الأسلوب يعتبر إحدى وسائل

[2] ابن منظور ، لسان العرب،(1410–1990،) دار ، ط1، بيروت، مادة (س .ل.ب). ص (473

إقناع الجماهير فكان يندرج تحت علم الخطابة و اختيار الكلمات المناسبة لمقتضى الحال أي البلاغة elocution

لاحظ أن هذه المعاني بين الموردين يصب في اتجاه واحد فلا يكاد يخرج عن الخصوصية أو الفردانية أو ما يسميه البعض ذاتية .

وعرف الناقد الفرنسي بيفون الأسلوب بقوله الأسلوب هو الرجل أو الإنسان نفسه لان المعارف و المكتسبات أشياء خارجية عن الشخص بينما الأسلوب شيء شخصي فالأسلوب هو النظام و الحركة اللذان نضعهما في الأفكار لأن الأفكار عنده بيفون مادة الأسلوب ووحدها لا تؤلف الأسلوب كما أسهم نقاد الأدب العربي المحدثون في بلورة مفهوم الأسلوب فهذا احمد أمين يقول اجمع النقاد تقريبا على إن الأدب يتكون من عناصر أربعة هي العاطفة و المعنى و الأسلوب و الخيال و في الدراسات الحديثة ينطلق بوفون "Buffon" من مقولته الشهيرة: أن الأسلوب هو الإنسان نفسه و لذا لا يمكنه أن ينتزع، أو يحمل، أو يتهدم، و هو يقترب بذلك من تعريف أفلاطون السابق " الأسلوب شبيه بالسمة الشخصية[3]

وقبل أن نصل إلى مؤسس هذا العلم لا بأس أن نشير إلى مؤشرات هامة في مسيرة هذا العلم من خلال بعض الإعلام الذين أشاروا عليه وحاول البعض منهم التأكيد عليه على غرار بيير جيرو الذي" Pierre-Voel Giroud

[3] جيرو ، جيرو، بيير الأسلوبية(1990) تر: منذرعياشي، دار الحاسوب للطباعة، ط2، حلب، 1990 ،ص37)

1949" حدد مفهوم الأسلوب بقوله:" الأسلوب هو وجه الملفوظ ينتج عن اختيار أدوات التعبير و تحدده طبيعة المتكلم أو الكاتب و مقاصده". [3]

أما ميشال ريفاتير" Michael Riff terre" فعده: " قوة ضاغطة تسلط على حساسية القارئ،و قابليته المدركة معيار سبر مردودها اعتمادا على ما تحققه بضغطها و تسلطها من فاعليته ".[4]

و ذهب الباحث برند شبلنر إلى القول :" الأسلوب ظاهرة مصاحبة توجد في النصوص المنطوقة أو المكتوبة، كما أنها تحقق في مسألة تلقي النصوص...و يهدف الأسلوب غالبا إلى قصد محدد من مؤلف النص"[5] (وعند المحدثين نجد مؤشرات عديدة فلقد أطلق أحمد أمين على الأسلوب أنه عبارة عن نظم الكلام وهو عنده طريقة الكاتب في التعبير عن الأفكار واختيار الكلام بما يناسب مقاصد صاحبه ويعتمد نظم الكلام أولا على اختيار الكلمات لا من ناحية معانيها فقط بل من ناحيتها الفنية بما توجيه من أفكار و من ناحية وقعها الموسيقي فقد تأتلف كلمة مع كلمة ولا تأتلف مع أخرى.

أما عن المحدثين والذين صبوا جل اهتمامهم بهذه الصلة بين الأسلوب والأسلوبية نجد أحمد الشايب في تعريفه للأسلوب يقول "

إذا سمع الناس كلمة أسلوب فهموا منها هذا العنصر اللفظي الذي يتألف من الكلمات فالجمل و العبارات و ربما قصروه على الأدب وحده دون سواه من العلوم و الفنون وهذا الفهم على صحته يعوزه شيء من العمق

---

[4] المسدي، عبد السلام الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، طرابلس، ص 84)

[5] المرجع نفسه ، ص 150)

والشمول ليكون أكثر انطباقا على ما يجب أن يؤديه هذا اللفظ من معنى صحيح و ذلك أن هذه الصورة اللفظية لا يمكن أن تحيى مستقلة وإنما يرجع الفضل في نظامها اللغوي الظاهر إلى النظام أخر معنوي انتظم وتالف في نفس الكاتب أو المتكلم ومعنى هذا أن الأسلوب معاني مرتبة قبل أن تكون ألفاظا منسقة وهو يتكون في العقل قبل أن ينطبق به اللسان أو يجري به القلم " و قد أجمع العديد من الدارسين أن بوادر الأسلوبية ترجع إلى العالم السويسري فرديناند دو سوسير Ferdinand de susurre (1857-1913)، الذي أسس علم اللغة الحديث، و الذي يشار إلى أفكاره الرائدة في هذا المجال و التي من ضمنها ظاهرة تعد أهم مبدأ أصولي استندت إليه الأسلوبية، و الذي يقوم أساسا على ركيزتين متكاملتين من ركائز التفكير اللغوي و هي ظاهرة " اللغة و الكلام"، حيث كان التمييز بين اللغة كظاهرة لغوية مجردة، و الكلام باعتباره الظاهرة المجسدة للغة، مساعدا على تحديد مجال الأسلوبية، إذ أنها لا يمكن أن تتصل إلا بالكلام و هو الحيز المادي الملموس التي يأخذ أشكالا مختلفة قد تكون رسالة، خطابا أو قصيدة شعر"[6]

ولا يقف الأمر عند هذا الحد فحسب " بل كانت جهود دو سوسير اللغوية الفذّة متاحة بشكل مباشر أمام أحد تلاميذه " شارل بالي" الذي تأسست على يده قواعد الأسلوبية كعلم و ذلك عندما نشر دراسة موسعة عن أهدافها، راغبا في

[6](المرجع نفسه، ص 40)

جعل الخطاب ما هو حامل لذاته و ما هو حامل للعواطف و الخلجات و الانفعالات"[7] (

" و تأتي الأسلوبية لتتبع ملامح الشحن العاطفي في الخطاب بوجه العموم من حيث استخدام اللغة بشكل متجدد، فالأسلوبية تعنى بالجانب العاطفي في الظاهرة اللغوية، و تحاول قدر جهدها استكشاف الكثافة الشعورية التي يتكون بها الخطاب".[18]

" وبالنظر إلى شارل بالي كأحد أعمدة مدرسة " سوسير" يعتد بنظام اللغة و بالعوامل الروحية المتضمنة فيه، و يهتم بوصف كيفية قيام اللغة بوظيفتها مؤكدا بشكل حاسم على الطابع الوصفي البحث لعلم الأسلوب، حيث وضع أعمدة هذا الأخير (علم الأسلوب التعبيري) و أتاح الفرصة لأتباعه كي ينهجوا على أثره مفيدين من مقولاته و موسعين من دائرته".[9]

ميّز دو سوسير بين اللغة و الكلام تميزا دقيقا" فاللغة هي نظام متعارف عليه من الرموز التي يتفاهم بها الناس، و الكلام صورة اللغة المتحققة في الواقع باستعمال فردٍ لها في حالة معينة، و لكل فردٍ معجمه

---

[7] ينظر المرجع نفسه ،ص ن)

[8] محمد عبد المطلب، البلاغة و الأسلوبية،(1994) مكتبة لبنان ناشرون ط 1، ص 205.)

[9] (فضل، صلاح علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته،(1998،) دار الشروق، ط1، القاهرة، (بتصرف)،1998، ص 42)

اللغوي المتميّز فهو يميل إلى استعمال بعض الكلمات دون بعض، و كما أن لكل فرد طريقته الخاصة في بناء الجمل و الربط بينهما[10]

لقد تطورت النظرة إلى علم الأسلوب و إمكانية الإفادة منه في دراسة النصوص الأدبية، و بخاصة تلك التي قدّمها "ليو سبيتزر " الذي أقام جسرا بين دراسة اللغة و الأدب، و أُسُس الأسلوب المثالية، و أحدث سبيتزر تحولا أساسيا و جوهريا في الإفادة من اللغة في دراسة النصوص الأدبية و دراسة الأسلوب الفردي للأديب من خلال اعتماده على الكشف عن ملمح أو ملامح لغوية تشكل ظاهرة أسلوبية.[11] (

" و قد بنى رؤيته هذه متأثرا بأراء "كارل فوسلير" و دراسات "فرويد" في الاعتناء بالجوانب السيكولوجية للمبدع و هو جانب مهم في دراسة العالم النفسي للمبدع. ففي سنة 1911 يشرع ليو سبيتزر في التمهيد للأسلوبيات الأدبية فيقدّم دراسة عن " رابلييه" يسعى فيها إلى إبراز العلاقات القائمة بين العناصر الأسلوبية و العالم النفسي للكاتب[12]

و قد ظلت الدراسات الأسلوبية ضمن هذه المعطيات التي أرساها "شارل بالي" و " ليو سبيتزر"، حتى جاء جاكبسون "Roman Jacobson

---

[10] محمد كريم الكواز، علم الأسلوب مفاهيم و تطبيقات،(1997) منشورات السابع ابريل الزاوية ليبيا
ص 64)

[11] المرجع نفسه ص 11)

[12] (رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، *لأسلوبيات و تحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة عنابة، 2004م* ، ص 14.)

1896–1982 " و قدّم طروحات جديدة تبرز من خلال تعريفه للأسلوبية إذ يقول:" إنها البحث عمَّا يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا، و عن سائر الفنون الإنسانية ثانيا[13]

" فنادى بحق الأسلوبية في شرعية الوجود ضمن الدراسات الأسلوبية الحديثة بأبحاث جادة ركزت في مجملها على بعض الجوانب الأسلوبية كالمحسوس و المجرد، و المجمل و المجاز، و نسيج الأصوات... و كان هدفه من وراء هذا كله هو إعادة الاعتبار إلى الصناعة الأدبية و اللغوية و الحدث الجمالي في البحث **الأسلوبي**[14]

وفي سنة 1954 يصدر "بيير جيرو" كتابا قيّما " الأسلوبيات" نشره في سلسلة " ماذا أعرف؟" و ضمنه فكرة العلاقة بين البحث الأسلوبي و البلاغ و النقد فإنتهى إلى أن:" الأسلوبية بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف للتعبير[15]

" وفي عام 1960 انعقدت بجامعة أنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية ندوة عالمية شارك فيها أبرز اللسانيين و نقاد الأدباء، و علماء النفس و علماء الاجتماع ،كان محورها " الأسلوب" ألقى فيها جاكبسون محاضرته حول " اللسانيات و الإنشائية"فأكد سلامة بناء الجسر الواصل بين اللسانيات و الأدب وهو الاتجاه الذي وضع أسسه ليو سبيتزر 1948 في كتابه " اللسانيات و تاريخ الأدب" فاكتملت حلقات الأسلوبية بصنيع جاكبسون **هذا**"و في عام 1965

---

[13] صالح ربابعة، موسى الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، (2003) دار الكندي للطبع و النشر و التوزيع، ط1، الأردن، ،ص 12)

[14] (بوخوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب ص 15.)

[15] (المرجع نفسه، ص 18)

ازداد اللسانيون و نقاد الأدب اطمئنانا إلى إثراء البحوث الأسلوبية، و اقتناعا بمستقبل حصيلتها الموضوعية و ذلك عندما أصدر "تودوروف Tzvetan Todorov" أعمال الشكلانيين الروس مترجمة إلى الفرنسية فتعززت مكانة الأسلوبية[16]

"وتتويجا لهذه الجهود كلها يصدر "ستيفان أولمان Stephen Ulmann، كتابه القيّم الذي عنوانه " إشكاليات اللسانيات و مناهجها" يؤكد فيه استقرار الأسلوبية و يعتبرها علما لسانيا نقديا لأنها صارت من أكثر فروع اللسانيات صرامة و من ثمة فالأسلوبية سيكون لها الفضل على اللسانيات و النقد الأدبي فيقول: "إن الأسلوبية اليوم هي أكثر أفنان اللسانيات صرامة على ما يعترى غائيات هذا العلم الوليد و مناهجه و مصطلحاته من تردد، و لنا أن نتنبأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبي و اللسانيات معا[17]

" ومع " ميشال ريفاتير" بدأت الأسلوبية البنيوية مسارا مهما في تناول الأسلوب في النص الأدبي، و قد أفرد كتابا خاصا لهذا الغرض سمي بـــــ" محاولات في الأسلوبية البنيوية 1971" و قد تمثلت غاية هذا الكتاب في أن الأسلوبية البنيوية تقوم على تحليل الخطاب الأدبي، لأن الأسلوب يكمن في اللغة و وظائفه[18]

---

[16] (عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ص 24.)

[18] ربايعية ، الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها ص .15)

الخطاب والتأويل من خلال محددات الأسلوبية :

ينبغي الإشارة هنا أن لغة الخطاب التي يعنى بها علم الأسلوب أو الأسلوبية هي جهود ذات صلة بالمستويات اللغوية التي اعتنى بها علم الأسلوب واعتبرها تنزيلات في مقاربته للمعنى ويلخص منهجه هذا من خلال محددات ثلاثة هي الاختيار والتركيب والانزياح .

أما ما قام به علم الأسلوب هو توزيع المستويات اللغوية داخل هذه المحددات بحيث يضم محدد الاختيار :المستوى الصوتي والمستوى المعجمي والمستوى الصرفي .

اما محدد التركيب فيضم المستوى التركيبي ومن خلاله ندرس كل ما له صلة بالتركيب .

فمن خلال هذين المحددين نرى أن لغة الخطاب وأدواته مبسوطة في المحددين المذكورين .

أما المحدد الثالث وهو الانزياح فيمثله المستوى الدلالي ومن خلاه يكون الدرس الأسلوبي قد انتقل إلى مقاربة أخرى في التحليل وهي التأويل وبذلك نستطيع القول أن علم الأسلوب يحتوي في مقاربته منهج الخطاب ومنهج التأويل هذا بإجمال سنحاول أن نفصل هذا من خلال تفسير هذه الخطوات لدى كل محدد.

محدد الإختيار :

شاع في الدراسات الأسلوبية أن الأسلوب هو اختيار Choix غرضه التعبير عن موقف معين، فيقوم المنشئ بالاختيار و الانتقاء من الرصيد اللغوي ذخيرة من المفردات لسمات معينة تتشكل بشكل خاص."[19]

يحدد" كراسو" ظاهرة الأسلوب بأنها: " اختيار و يراعي ثلاث عناصر أساسية في هذه العملية و هي: الباث و المتلقي و الخطاب أو الحدث اللساني."[20]

وفي هذا السياق يقدم "جيراو" تصور متكامل لظاهرة الأسلوب على أنه:" هو مظهر القول الذي ينجم عن اختيار وسائل التعبير، هذه الوسائل التي تحددها كبيعة و مقاصد الشخص المتكلم أو الكاتب[21]

" إن تعريف الأسلوب على أنه اختيار يطرح في المقام الأول السؤال الآتي: لماذا يختار المبدع هذه الكلمة، أو هذا التركيب، أو هذا العنوان، أو هذه التقنية دون غيرها من التقنيات؟ ثم ينطوي السؤال: كيف أتى هذا التركيب بهذا النظم أو الطريقة؟.[22](1)

" إن الاختيار عملية واعية تسهم في تحديد ماهية الأسلوب، و يهدف في منطق البحث اللغوي الحديث إلى الانسجام في علاقات التواصل بين الباث

---

[19] ناظم ناظم، مفاهيم شعرية،(1994) المركز الثقافي العربي، ط1 ، بيروت،ص 53

[20] (المرجع نفسه ص 53..)

[21] فضل صلاح صلاح علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته،(،ص127)

[22] ابو العدوس ، يوسف أبوالعدوس، البلاغة و الأسلوبية،ص 159)

والمتلقي، و بالتالي فإن الاختيار يتم على مستوى اللفظ أولا ثم ينتقل إلى نظم الكلام و تأليفه لأداء الأفكار قصد الإيضاح و التأثير.[23]

"و اللغة في ذاتها تزخر بإمكانات كثيرة تطرح بين يدي المبدع، وهو حر في اختيار المفردات التي يستعملها في صياغة التراكيب الشعرية، ويمتلك الحرية ذاتها في التأليف بين تلك المفردات على أنحاء خاصة يتفرد بها."[24]) فالمبدع يقوم بعملية الاستبدال من بين مجموعة من الألفاظ المترادفة القائمة في الرصيد المعجمي له[25]

والسؤال المهم الذي يطرح نفسه في هذا الإطار: هل الاختيار عملية حرية إلى ما لانهاية؟. إن الجواب على هذا السؤال يكمن في أن الوسائل اللغوية ليست ممكنة دائما، فالاختيار مقيد بنظام اللغة وقواعدها الصارمة، لذلك فإن التجاوزات التي تخرج على النظام اللغوي تركيبيا و دلاليا عدّت في الشعر العربي من الضرورات الشعرية لأنها خرجت على النظام اللغوي حتى وجد لها بعض الدارسين مسوغات و تبريرات."[26]

يذهب علماء الأسلوب إلى أن عملية الخلق الأسلوبي إنما تستوي في الاختيار أولا وقبل التركيب ثانيا فشان منشئ الكلام أن يختار من الرصيد

---

[23] (السد ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ص 176)

[24] (قاسم ، عدنان الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، (2001،)الدار العربية للنشر و التوزيع، نصر، ،2001، ص 201

[25] السمري ، عبد العزيز، إبراهيم السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، (2011) دار الأفاق العربية، ط12011، ص 252)

[26] لمرجع نفسه، ص 31.)54.

اللغوي الواسع مظاهر محدودة من اللغة ثم يوزعها بصورة خاصة فيشكل بها خطابا و يحمل هذا على جميع أنواع الخطاب الأدبي يرى بعض الباحثين أن اللغة المعينة هي عبارة عن قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة للتعبير و من ثمة فإن الأسلوب يمكن تعريفه بأنه اختيار يقوم به المنشئ لصفات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين و يدل هذا الاختيار أو الانتقاء على إيثار المنشئ لهذه الصفات على تلك صفات أخرى بديلة ومجموعة الاختيارات الخاصة بمنشئ معين هي التي تشكل أسلوبه الذي يمتاز به عن غيره من المنشئين غير انه لا يمكن اعتبار كل اختيار يقوم به المنشئ اختيارا أسلوبيا لذا فمن الضروري تحديد نوعين مختلفين من الاختيار:

1ــ اختيار محكوم بالموقف و المقام:وهو اختيار نفعي يهدف إلى تحقيق هدف عملي محدد وربما يؤثر فيه المنشئ كلمة أو عبارة عن أخرى لأن أكثر مطابقة في رأيه للحقيقة أو لأنه يريد أن يظلل سامعه.

2ــ اختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخاصة:ويمكن تسمية هذا النوع من الاختيار بالاختيار النحوي وتدخل في النحو قواعد اللغة بمفهومها الشامل الصوتية و الصرفية و الدلالية صيغ الأساليب الجاهزة ويشحن الخطاب الأدبي بطاقات أسلوبية جمالية تحدث تأثيرا خاصا في المتلقي.

وقد اجمع كثير من رواد علم اللغة الحديث أن الأسلوبية تشكل علما قائما بذاته له مقوماته وأدواته الإجرائية وموضوعه ومن هؤلاء جاكوبسون وميشال ريفاتير وستيفن أولمان ودي لوفر وباختين ويرى الدكتور نور لدين السد ان عبد السلام المسدي كان السباق في نقل هذا المصطلح وترويجه بين

الباحثين العرب ويترجم المسدي مصطلح ..بالأسلوبية ويرد عنده علم الأسلوب أحيانا وتأخذ الأسلوبية مفهوم البحث عن الأسس الموضوعي لإرساء علم الأسلوب وعموما فإن الأسلوبية تهدف لان تكون علما تحليليا تجريديا ينشد إدراك الموضوعية في حدود عقلانية كما تبحث عما يتميز به ونظم الجملة ويكون هذا الاختيار حين يؤثر المنشئ كلمة أو تركيبا على تركيب لأنها تصبح اصح وأدق في توصيل ما يريد .

ب ــ:التركيب

إن خاصية التركيب باعتبارها ظاهرة أسلوبية استرعت اهتمام النقاد والباحثين الغربيين والعرب وتفاوتت وجهات نظرهم حولها وان كان جميع دارسي الأسلوب يجمعون على أهميتها لأن بها قوام الخطاب الأدبي وبواسطتها يحقق انسجامه وتكامله .

يستعمل التركيب كمستوى من مستويات التحليل الأسلوبي ويتطرق للدراسة لطول الجملة وقصرها أركان التركيب مبتدأ أو خبر فعل أو فاعل وصفة بموصوف والروابط المستعملة ودلالتها على خصائص الأسلوب (الواو ،الفاء ..)ترتيب التركيب تقديم وتأخير بدلالة والفصائل النحوية والبلاغية كالتذكير والتأنيث والتصريف /الصيغ الفعلية وتركيبها والزمن وتتابعه / البناء المعلوم والمجهول ..الخ .

وكما يقول المسدي كل مقطع لساني هو حلقة وصل بين الأشياء والوقائع والرموز إليها والمتقبل لذلك المقطع وهذه العلاقة ليست عفوية ولا اعتباطية وإنما تفرض عقدا مزدوجا احد العقدين يستجيب لضغوط الدلالة وهو

التواضع على رصيد معجمي معين والأخر يستجيب لضغوط الإبلاغ وهو التسليم بمجموعة من القوانين الضابطة لتركيب مقاطع الكلام

"تجمع الدراسات في مجال الحقل الأسلوبي على قيمة التركيب باعتباره طرفا فاعلا في عملية الخلق الأدبي، و عنصر أساسي في الظاهرة اللغوية و عليه يقوم الكلام الصحيح."[27].

"حيث ترى الأسلوبية في التركيب عنصر ذا حساسية في تحديد الخصائص التي تربطه بمبدع معين، لأنها تعطيه من الملامح ما يميزه عن غيره من المبدعين، سواء أكانوا مزامنين له أم كمتلقين عنه في الزمان و المكان، و ذلك يتحقق من خلال رصد حجم الجملة طولا و قصرا، و ترتيب أجزائها، و ذكر بعض عناصرها، ورصد الأدوات المساعدة التي يستعين بها المبدع كأدوات العطف و الجر، و أدوات الشرط و الاستثناء، ذلك أن حجم الجملة و ترتيبها و الربط بين عناصرها، هو الذي يكوّن في النهاية التركيب الدلالي للقطعة الأدبية[28]

انطلاقا من تركيب الأدوات اللغوية يفضي إلى إفراز الصورة المنشودة،"إن النقاد العرب قد عدّو الأسلوب تركيبا لغويا ذا قيمة جمالية و فنية، و هذا التركيب يحول الخطاب الأدبي إلى عمل فني من خلال وحدته و انسجامه الداخلي[29].

---

[27] (نور الدين السد الاسلوبية وتحليل الخطاب ، ص 186 (بتصرف

[28] عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية ص 207.)

[29] (نور الدين السد ، الاسلوبية وتحليل الخطاب ، ص 208 (بتصرف).

لقد ادرك " محمد مفتاح وهو من النقاد الذين اهتموا بظاهرة التركيب،فصيلين وفي رأيه أنه ينقسم إلى التركيب النحوي، و التركيب البلاغي فحاول محمد مفتاح المزاوجة بين المباحث النحوية التقليدية و الدراسات اللسانية الحديثة في تناول ظاهرة التركيب، و ينظر إليها في الشعر بما تؤديه من معنى في القصيدة و جماليتها لأنها تتناغم مع باقي العناصر الأخرى أما التركيب البلاغي فقد تحدث عنه " محمد مفتاح" من خلال إشارته إلى النظريات المتعددة التي تناولت ظاهرة الاستعارة، و قد عالج موضوع الاستعارة في سياق التناول اللساني البنيوي الذي من أهم ممثليه " جاكبسون " و " مولينو[130]

أما ابن خلدون يشير إلى علاقة الأسلوب بالتركيب فيقول:" و لنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل الصناعة، و ما يريدون بها في اطلاقهم، فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذي تفرغ فيه، و لا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى، و إنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة."[31]

ـ الانزياح :

يقول الدكتور عبد السلام المسدي عن مصطلح ..إنه عسير الترجمة لأنه غير مستقل في متصوره وعبارة انزياح ترجمة حرفية للفظة ..على أن

[30] (المرجع نفسه، ص 194)

[31] المرجع نفسه، ص 196)

المفهوم ذاته قد مكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز وأن نحيي له لفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محدد وهي عبارة العدول ومن الناحية العلمية يعتبر الاسلوبيون أنه كلما تصرف مستعمل اللغة في هياكل دلالتها أو أشكال تراكيبها بما يخرج عن المألوف انتقل كلامه من السمة الإخبارية إلى السمة الإنشائية كان تقول : كذبت القوم وقتلت الجماعة فانك لا تعمد إلى أي خاصية أسلوبية أما في قوله تعالى " فريقا كذبتم وفريقا تقتلون " فيوحي انزياحا وعدولا عن النمط التركيبي بتقديم المفعول واختزال الضمير العائد عليه ثانيا(فريقا كذبتموه..) فهذا انزياح متصل بالتوزيع أي العلاقات الركنية معنى ذلك إن نفس الأدوات اللغوية المستعملة يمكن رصفها بما يزيل الانزياح وبالتالي السمة الأسلوبية وبالتالي يمكن اعتبار الانزياح انحراف المألوف للغة وانتهاك صيغ الأساليب الجاهزة لشحن الخطاب الأجنبي وغيره بطاقة أسلوبية جمالية تحدث تأثيرا خاصا في المتلقي .

بعد أن قمنا باستعراض هذه المحددات نستخلص النقاط التالية على أساس إنها نسبية وتعبر عن رأي يحتمل الخطأ:

أولا قبل أن نتكلم عن طبيعة المحددات المذكورة لأننا أتينا بها في طليعة هذا المبحث من وجهة نظر أساسية نراها أنها نقطة ما يمكن أن ندعي تسميته بنقلة بحثية من معرفة وتخصص إلى معرفة وتخصص بديل او انه يكمل الأول وهذه الدعوى ترى أن البلاغة عندما انتهت إلى أن تكون علما مقعدا ومعياريا ثبت توجهه بحسب هذه المعايير وانتهج بعد طول مراجعة إلى التسليم بان هذه البلاغة مهدها القرآن لكريم لم تدع إذا فسحة لتشمل نصوص

من تركيبات أخرى وهنا يرى هؤلاء إنه من غير الممكن أصلا أن نسقط بلاغة طبيعتها لا متناهية على بلاغة إنسانية منتهية هذا الإشكال جاء على طبيعة استفهامات من بينها أن الشكل لا يمثل سلطة في حاله كما هو يمكن ان نسقطه على كل نص فكل مضمون يحتويه شكله الخاص هؤلاء أن المضمون في حد ذاته يشكل سلطة على الشكل وهو ما يطرح على مستوى نظرية الأجناس الأدبية .

ثانيا ــ إذا تأملنا مراد هؤلاء هو انه صحيح ما يقولون على المستوى النظري لكن إذا تطلعنا إلى تنزيل هذا الكلام ساحة الواقع نجده شبه عاجز عن تطبيق هذه الآراء ووجهات النظر بل نجد أدواته في الغالب تستعين بالطرح البلاغي ونستطيع أن نجمل هذا المجهود من خلال المستويات اللغوية من خلال محدد الاختيار فتراه يحتوي على دراسة الكلمات من خلال مستواها المعجمي والصرفي والصوتي وهو ما كان من قبل في الدرس البلاغي أما التركيب فيأتي باهتا في قضاياه حتى مع الطرح البلاغي لكن يطرح هؤلاء مسألة جوهرية تمس فعلا طابع التحليل البلاغي وهو أن الأخير على هذا المستوى لم يخرج عن إطار الجملة وهو صحيح في مجمله لكن هناك استثناءات تحدثت عن تجاوز الجملة إلى المقاطع والنص ككتلة واحدة وهو ما تتحجج به الأسلوبية في حضورها وهو صحيح إلى حد بعيد لان تيارا ما غلب على هذا التوجه في البلاغة أما الانزياح فما هو إلا عدولا كما رآه البعض ويطرح في نظرنا ضمن المستوى الدلالي بذلك تغطي الأسلوبية هذه المستويات من خلال

هذه المحددات لكن تبقى في نظرنا قاصرة في البحث والتحليل لأن لا يزال الكثير منها يستعين بالبلاغة .

من خلال ما ذكرنا نستطيع القول أننا اكتسبنا فتحا جديدا على مستوى التحليل من خلال التنظير الأسلوبي الذي عزز به دور البلاغة من المقاربة التحليلية للخطاب والتأويل وإخراجها (البلاغة)من ثقافة الشاهد إلى ثقافة المثال هذا ما يختصره البعض من صلة وعلاقة بين الحقلين المعرفيين ونرى من خلال الدرس الأسلوبي صورة متكاملة في التحليل من خلال لغة الخطاب والتأويل عندما تجاوزت البلاغة الجديدة الجملة التي كانت نقطة نهاية التحليل إلى نقل ذلك على مستوى المقاطع فالنص عموما ككتلة واحدة والنظر في خصوصياته ونسقه ومآلاته .

المصادر والمراجع :

1ــ ابن منظور، لسان العرب،(1410-1990،) دار ، ط1، بيروت، مادة (س .ل .ب).

2ــ جيرو، بيير الأسلوبية(1990) تر: منذرعياشي، دار الحاسوب للطباعة، ط2، حلب

3ــ السد، نور الدين الأسلوبية و تحليل الخطاب،(2010،) دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع، د.ط، الجزائر،

4ــ المسدي، عبد السلام الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، طرابلس

5ــ عياشي، منذر الأسلوبية و تحليل الخطاب،(2015) دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع، ط1 ، سوريا ـــــــ دمشق

6ـــ زحاف حبيب، البعد الهوياتي والوثائقي. مقاربة تداولية،(2013،) جامعة السانيا وهران،

7ــ عبد المنعم الحفاجي و آخرون، الأسلوبية و البيان العربي الدار المصرية اللبنانية ط1 1992

8ــ يوسف أبوالعدوس، البلاغة و الأسلوبية، الأهلية للنشر و التوزيع، ط1، الأردن

9ــ محمد عبد المطلب، البلاغة و الأسلوبية،(1994) مكتبة لبنان ناشرون ط 1

10ــ فضل، صلاح علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته،(1998،) دار الشروق، ط1، القاهرة، (بتصرف)

11ــ حسن ناظم، مفاهيم شعرية،(1994) المركز الثقافي العربي، ط1 ، بيروت،

12ــ محمد كريم الكواز، علم الأسلوب مفاهيم و تطبيقات،(1997) منشورات السابع ابريل الزاوية ليبيا

13ــ صالح ربابعة، موسى الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، (2003) دار الكندي للطبع و النشر و التوزيع، ط1، الأردن

14ــ رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، *الأسلوبيات و تحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة عنابة، 2004م*

15ــ عبد العزيز، إبراهيم السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، (2011) دار الأفاق العربية، ط1

16ــ حسين قاسم، عدنان الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، (2001،)الدار العربية للنشر و التوزيع، نصر

17ــ الهادي الطرابلسي، تحاليل أسلوبية،(1992) دار الجنوب للنشر، د.ط، تونس.